﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ١٧ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾ [الدُّخان: 17 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

ضرب الأمثال؛ تبيين للحال، وتسلية للقلوب، وبَعْثٌ للآمال

لمّا أخبر سبحانه أنَّه ابتلى قريشًا بإرسال محمد ﷺ لهم؛ أتبع سبحانه ذلك ببعض ما كان من أمر موسى عليه السلام مع قوم فرعون؛ تسليةً للنَّبيِّ ﷺ، ووعدًا له بالنَّصر وحسن العاقبة، وتحذيرًا لقريش بما سيحلُّ بهم من القحط والبطشة مع تقريب حصول ذلك وإمكانه ويسره وإن كانوا في حالة قوَّة فإنَّه سبحانه قادر عليهم، وهذا المثل وإن كان تشبيهًا لمجموع الحالة بالحالة فهو قابل للتَّوزيع بأن يُشبَّه أبو جهل بفرعون، ويُشبَّه أتباعه بملأ فرعون وقومه أو يُشبَّه محمد ﷺ بموسى عليه السلام، ويُشبَّه المسلمون ببني إسرائيل، وقبول المثل لتوزيع التشبيه من محاسنه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَنَّا﴾: أصل (فتن) يدلُّ على الابتلاء والاختبار[2]، وهو مأخوذ من الفَتْن، وهو إدخال الذَّهب النّارَ لتَظْهَر جودته من رداءته، وجِماع معنى الفتنة: الامتحان والاختبار[3].

والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، فتكون بمعنى أنه يبتلي عبادَه ليشكروا أو يكفروا، وتكون من العبد، فتكون بمعنى يمتحنون بها أحوال بعضهم بعضا، ومتى كانت من الله كانت على وجه الحكمة، ومتى كانت من الإنسان بغير أمر الله، تكون بضدِّ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 659، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 400، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 294.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتن).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (فتن).

ذلك، ولهذا يذمُّ الله الإنسان بأنواع الفتنة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج: 10][1]، والفتنة: الإضلال عن الحقِّ، والفاتن: المضِلُّ عن الحقِّ، والشَّيطان؛ لأنَّه يضِلُّ العباد، وقوله تعالى: ﴿فَتَنَّا﴾ في الآية، بمعنى: بلونا، ومعنى هذه الفتنة والابتلاء بالأمر بالطّاعة[2].

2) ﴿أَدُّوٓاْ﴾: أصل (أدي) يدلُّ على إيصال الشَّيء إلى الشَّيء، أو وصوله إليه بنفسه[3]، والأداء: دفع ما يحقُّ دفعه وتوفيته، كأداء الخراج والجزية وأداء الأمانة، يقال: أدَّى دَيْنَه أداء وتأدية: قضاه[4]، وأصل ذلك من الأداة، تقول: أدوتَ تفعل كذا: احتلت، وأصله من تناول الأداة التي يُتوصّل بها إلى الشَّيء[5]، والأداة الآلة، والجمع: الأدوات، واستأديت: على فلان، نحو: استعديت، يقال: استأديت الأميرَ على فلان، فآداني عليه، بمعنى: استعديته فأعداني عليه، وقول الله تعالى: ﴿أَدُّوٓاْ﴾ هو من قول موسى لقوم فرعون؛ أي: سلِّموا إليَّ بني إسرائيل[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الاعتبار بأحوال الماضين والاقتداء بالصالحين من سمات عباد الله المرسلين

يُبيِّنُ الحقُّ ﷻ للرَّسول الكريم ﷺ في الآيتين الكريمتين أنَّه قد ابتلى واختبر قبل هؤلاء المشركين من كفّارِ مكَّةَ كثيرًا من الأمم والأقوام السّابقين: كقوم فرعون وهم قبط مصر، الَّذين أرسل الله إليهم نبيَّه الكريم موسى عليه السلام؛ لعلَّةٍ هي: أن يُسْلِموا إليه بني إسرائيل، ويطلقوهم من الذُّلِّ والهوان؛ ليعبدوا الله وحده، وليعيشوا

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فتن).
(2) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 230، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 134.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أدى).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (أدى).
(5) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أدى).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (أدى).

أحرارًا في هذه الدُّنيا، وتسليمهم للنَّبيِّ الكليم موسى ﷺ بوصفه رسولًا كريمًا أمينًا على وحي الله ورسالته[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو ودلالتها في المطلع:

بيان المآل تشبيه للحال بالحال

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ عاطفة، عطفت الجملة السّابقة على قوله سبحانه: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي منتقمون منهم في المستقبل وقد انتقمنا مِن قوم فرعون فيما مضى، ويجوز أن تكون الواو للحال؛ فتكون الجملة حالًا مِن ضمير إنا منتقمون[2].

نكتة تصدير الآية بالقسَم:

التَّصدير بالقسم؛ لإزالة الظُّنون، وإظهار الاعتناء بالمضمون

جاء تصدير الآية بالقسَم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾؛ لإظهار الاعتناء بمضمونها؛ لبيان القدرة والعظمة الإلهيَّة، ولجذب ذهن المستمع إليها؛ لما لها مِن مزيد أهميَّة، وأيضًا لكون الخطاب موجَّهًا إلى مخاطَبين منكرين ومتشكِّكين، بل تجرَّؤوا فاستعجلوا العذاب الذي يُتَوَعَّدون به إن ظلّوا في غيِّهم سادرين، فلا جرم أُكِّد الخطاب باللّام الموطِّئة للقَسَم، وحرف التَّحقيق (قد) لأجل ذلك.

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿فَتَنَّا﴾:

يختبر العظيم عباده ليُظهر حقيقة معادنهم

جاء التَّعبير بالماضي في قوله سبحانه: ﴿فَتَنَّا﴾؛ جريًا على الأصل في حكاية الحال الماضية، وهو مفيد للتَّأكيد والدَّلالة على تحقُّق الوقوع حتمًا؛ أي: فعلنا على ما لنا مِن العَظَمة فعلَ الفاتِن، وهو المختبِر كي تظهر حقيقة معادن القوم، فيكون ذلك حجَّة عليهم.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 28 - 30، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 122 - 124.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 894.

بلاغة تسمية الاختبار فتنة:

الفتنة أشدُّ الاختبار وأبلغه، وأصل ذلك: عرض الذَّهب على النّار لتبيُّن صلاحه مِن فساده، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: 13] ويكون في الخير والشَّرِّ، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15] وقوله سبحانه: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: 16 - 17][1].

الفتنة أشدُّ الاختبار، ليتبيَّن المستحقُّ لدخول النّار

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: امتحنّاهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم، والتَّعبير بالفتنة هنا استعارة، والمراد عاملناهم معاملةَ الممتحِن؛ ليظهر حالهم لغيرهم، أو أوقعناهم في الفتنة على أنَّه بمعناه المعروف، والمراد بالفتنة حينئذ ما يفتن به الشَّخص؛ أي: يغترُّ ويغفل عمّا فيه صلاحه[2].

نكتة التَّعبير بالظَّرفيَّة الزَّمانيَّة في ﴿قَبْلَهُمْ﴾:

التَّعبير بالظَّرفيَّة الزَّمانيَّة في قوله تعالى: ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أشعر أنَّ أهل مكَّة سوف يُفتنون كما فُتِن قوم فرعون؛ فكان هذا الظَّرف مُؤْذِنًا بجملةٍ محذوفةٍ على طريقة الإيجاز، والتَّقدير: إنّا منتقمون ففاتنوهم؛ فقد فتنّا قبلهم قوم فرعون، ومؤذنًا بأنَّ المذكور كالدَّليل على توقُّع ذلك وإمكانه، وهو إيجاز آخر، والمقصود: تشبيه الحالة بالحالة، ولكن عُدل عن صوغ الكلام بصيغة التَّشبيه والتَّمثيل إلى صوغه بصيغة الإخبار اهتمامًا بالقصَّة، وإظهارًا بأنَّها في ذاتها ممّا يهمُّ العلم به، وأنَّها تذكير مستقلٌّ، وأنَّها غير تابعة غَيرَها[3].

التَّعبير بالظَّرفيَّة؛ للتَّحذير من وقوع البليَّة

بلاغة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

جاء الالتفات مِن الخطاب في ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى الغيبة في

(1) أبو هلال العسكريُّ، الفروق، ص: 217.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 8/ 16، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 119.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 894.

﴿قَبْلَهُمْ﴾ تنشيطًا لأذن السّامع، وتوسيعًا لمجرى الكلام، إيذانًا بالإعراض عنهم، وتسجيلًا لضلالهم، وتعديدًا لجناياتهم، وتذكيرًا بحال غيرهم؛ ليتعجَّبوا منه، وليستدعي ذلك منهم الإنكار والتَّقبيح.

التذكير بالأحوال يستدعي الإنكار والاعتبار

نوع الإضافة ودلالتها في ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ إضافة معنويَّة محضة، تفيد تعريف المضاف إليه، والغرض منها إحضاره في ذهن السّامع بأخصر طريق وأوجزه، مع إفادة التَّحقير لهؤلاء القوم بنسبتهم إلى طاغيةٍ كَفّار، لأجل حصول العظة لغيرهم والاعتبار.

النسبة الى طاغية كفّار للتَّحقير من شأنهم، والتَّحذير من مغبَّة ما وقع لهم

والمعنى أنَّه فتنهم مع فرعون؛ لأنَّ ما كان فتنة لقومه كان فتنة له؛ لأنَّ الكبير أرسخ في الفتنة بما أحاط به من الدُّنيا[1].

نكتة التَّعبير بالاسم العلَم ﴿فِرْعَوْنَ﴾:

أوثر التَّعبير بالاسم العلَم ﴿فِرْعَوْنَ﴾؛ للتَّعريض به، ولإحضاره في الأذهان بالاسم الذي عُرِف به مصحوبًا بالهلاك، والتعرُّض للفتن.

التعبير بالعلميَّة للتَّحقير، وتخويف المخاطبين من سوء المصير

وذِكره باسمه العَلَم أتاح أيضًا أن يشبَّه به أبو جهل، ويشبَّه أتباعه بملأ فرعون وقومه[2]، فتحصل بذلك الموعظة البليغة، والتَّحذير من سوء المصير، فكما لم ينفع فرعونُ قومَه، بل إنَّما هلكوا بسبب اتِّباعهم إيّاه فكذلك سيقود أبو جهل وِرد أتباعه إلى النّار.

معنى الواو ودلالتها في ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ عاطفة، عطفت الجملة السّابقة على قوله تعالى: ﴿فَتَنَّا﴾ وهو عطف مفصَّل على مجمل، وإنَّما جاء معطوفًا إذ المذكور فيه أكثر من معنى الفتنة،

زيادة التَّفصيل في قصَّة الكليم، للتذكير والتحذير

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 294.

فلا تكون جملة ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ بيانًا لجملة ﴿فَتَنَّا﴾ بل هي تفصيل لقصَّة بعثة موسى عليه السلام[1].

نكتة تنكير ﴿رَسُولٌ﴾ ودلالة وصفه بـ ﴿كَرِيمٌ﴾:

بيان منزلة موسى الكليم وأن المُصطَفين هم خيار العالمين

جاء التَّنكير في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ﴾ للتَّعظيم، ووصفه بـ ﴿كَرِيمٌ﴾؛ زيادة في التَّعظيم والتَّشريف، والرَّسول الكريم: موسى عليه السلام، والكريم: النَّفيس الفائق في صنفه، أيْ: رسولٌ مِن خيرة الرُّسل أو مِن خيرة النّاس[2]؛ تكريمًا لنبيِّ الله الكليم موسى عليه السلام، وتوكيدًا لمعنى أنَّ الله سبحانه يصطفي للنُّبوَّة والرِّسالة خيرة خلقه، وأكرم عباده، وفي هذا ردٌّ لمقترح المشركين الذي حكاه عنهم القرآن في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31].

سرُّ المغايرة في وصف الرَّسولَيْن بين ﴿كَرِيمٌ﴾ و﴿أَمِينٌ﴾:

يحسن ذكر الأمين مع الأداء، والسُّلطان مع العلاء

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي مكرَّم معظَّم عند الله ﷻ، أو عند المؤمنين، أو عنده تعالى وعندهم، أو كريم في نفسه متَّصف بالخصال الحميدة والصِّفات الجليلة حسبًا ونسبًا[3]، والكرم إذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتَّى يظهر ذلك منه[4]، ونقل عن بعض العلماء أنَّ الكرم كالحريَّة إلّا أنَّ الحريَّة قد تقال في المحاسن الصَّغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلّا في المحاسن الكبيرة، وأصل الأمن: طمأنينة النَّفس وزوال الخوف[5].

وفي الآية الأولى جاء الوصف بالكرم؛ لأنَّه وصف صادر من

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 895.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 895.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 119.
(4) الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 707.
(5) الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 90.

اللّه تعالى؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، وقد تقدَّم أنَّ في هذا الوصف دلالة على كرامة الأنبياء على اللّه سبحانه، وأنَّه سيكرم أتباعهم، وسينتقم من أعدائهم، وأنَّه سبحانه يصطفيهم على خلقه، ويصنعهم على عينه.

أمّا في الآية الثّانية فقد جاء الوصف بالأمانة؛ لأنَّه مِن وصف الرَّسول لنفسه، وذلك في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، لينفي ما في قلوبهم مِن شكٍّ في قبول رسالته؛ أي: إنِّي رسول لكم مؤتمن على الوحي، لا أغيِّر فيه ولا أبدِّل.

ولا يخفى حسن ذكر الأمين مع الأداء، والسُّلطان مع العلاء، وذكر أنَّ في الأوَّل ترشيحًا للاستعارة المصرَّحة أو المكنيَّة بجعلهم كأنَّهم مال للغير في يده، أمره بدفعه لمَن يؤتمن عليه، وفي الثّاني تورية عن معنى الملك مرشَّحة بقوله ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟﴾ [الدخان: 19][1].

علّة فصل قوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾:

فصل قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه جاء تفسيرًا لما قبله، ويجوز في ﴿أَنْ﴾ كونها مفسِّرة؛ وذلك لأنَّ مجيء الرَّسول إلى مَن بُعث إليهم متضِّمن لمعنى القول؛ لأنَّه لا يجيئهم إلا مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللّه، والمعنى: أرسلوا معي بني إسرائيل وسلِّموهم إليّ، أ هي المخفَّفة مِن الثَّقيلة، ومعناه: وجاءهم بأنَّ الشَّأن والحديث: أدّوا[2]، وعلى كلا التَّوجيهين فالفصل لكمال الاتِّصال لشدَّة التَّرابط بين الجملتين.

لا يجيئ الرّسول إلا بشيرا وداعيًا إلى الله تعالى ونذيرًا

بلاغة الإيجاز بحذف فعل:

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ هو مقول قول محذوف، والتَّقدير: أرسلنا إليهم رسولًا يقول لهم أدّوا إليَّ عباد اللّه؛ وذلك لأنَّ بعث الرَّسول

القول سبيلُ التبليغ والإنذار

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 120.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 659، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 296.

مستلزم وجود رسالة، وإذا كانت رسالة الأنبياء تبليغًا وإنذارًا لأقوامهم على سواء فإنَّ هذا متضمِّن لمعنى القول بوصفه أداة التبليغ والإنذار، والجهر بالأسرار فحُذف فعل القول لدلالة لفظ ﴿رَسُولٌ﴾ عليه إيجازًا واختصارًا وتفخيمًا لمضمون الرِّسالة.

الغرض من الأمر في ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ بصيغة الجمع:

ألقِي الطَّلب للجَمْع؛ رجاء أن يُلقِي أحدُهم السَّمْع

الأمر في قوله تعالى: ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ مستعمَل في حقيقته لأداء معنى الطَّلب؛ فالمعنى أنَّه طلب إليهم أن يسلِّموا إليه بني إسرائيل الذين كان فرعون استعبدهم[1].

والمراد بخطاب الجمع: فرعون ومَن حضر مِن ملئِه لعلَّهم يشيرون على فرعون بالحقِّ، ولعلَّه إنَّما خاطب مجموع الملأ لمّا رأى مِن فرعون صلفًا وتكبُّرًا عن الامتثال، فخاطب أهل مشورته لعلَّ فيهم مَن يتبصَّر الحق[2].

سرُّ إيثار التَّعبير بفعل الأداء دون غيره:

تسليمُ بني اسرائيل للرسول الكليم لتبليغهم رسالة الربّ الكريم

تدور معاني الأداء في اللُّغة حول التَّمكُّن والتَّمكين من الشَّيء حوزًا أو إتاحة انتفاع[3]، فهو دفع الحقِّ دفعة، وتوفيته، كأداء الخراج والجزية وأداء الأمانة[4]، وفي الآية الكريمة جعل الحقُّ سبحانه بني إسرائيل كالأمانة عند فرعون على طريقة الاستعارة المكنيَّة[5]، وهذه الأمانة ينبغي أن تردَّ إلى مالكها وصاحب الحقِّ فيها مستوفاة، فقوله: ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سلِّموا إليَّ بني إسرائيل أجمعين، ومكِّنوني منهم أبلِّغهم رسالة ربِّي، فلا تحولوا بيني وبينهم.

(1) صدِّيق خان، فتح البيان: 12/ 397.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 895.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أدو - أدى).
(4) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (أدو - أدى).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 895.

معنى (إلى) في ﴿إِلَيَّ﴾:

الأصل في معنى (إلى) أنَّه موضوع للدَّلالة على انتهاء الغاية[1]، فكأنَّ موسى ﷺ قد جعل نفسه غاية لفعل الأداء، والمعنى: ادفعوا عبادَ الله، وهم بنو إسرائيل إليَّ، وذلك بأن تسلِّموني إيّاهم ولا تعذِّبوهم، ولا تحولوا بيني وبينهم، وأرسلوهم معي لأذهب بهم إلى الشّام[2]، وفيه تنبيه على أنَّ فرعون لا حكم له عليهم[3].

نكتة تقديم شبه الجملة على المفعول به:

يقدَّم في طليعة الكلام ما كان به مزيد الاهتمام

قُدِّم شبه الجملة على المفعول به في ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ للاهتمام؛ فهو النَّبيُّ المبعوث، والمكلَّف بالقيام بهذه المهمَّة مِن الله ﷻ، ولا يبعد أن يكون التَّقديم للاختصاص؛ أي: أدّوهم إليَّ حصرًا.

نوع الإضافة ودلالتها في ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾:

الناس جميعا عبادٌ لله وحده وليس لأحد غيره

الإضافة في قوله تعالى: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ إضافة محضة معنويَّة، تفيد التَّعريف والتَّشريف، وفيها كذلك معنى التَّخصيص؛ فبنو إسرائيل هم عباد لله وحده وليسوا عبيدًا لأحد غيره، ففيه ردٌّ لادِّعاء فرعون الألوهيَّة والرُّبوبيَّة!

وهذا الوصف: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ مبطِلٌ لحسبان القِبط إيّاهم عبيدًا كما قال: ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧﴾ [المؤمنون: 47] وإنَّما هم عباد الله، أي: أحرار، ففيه كناية عن الحريَّة، وقد جاء التَّعبير عنهم بعباد الله في قوله تعالى: ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ استعباد فرعون إيّاهم ظُلمٌ منه؛ فأجري وصفهم ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ تذكيرًا لفرعون بموجب رفع الاستعباد عنهم[4].

---

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزمخشري، المفصل، ص: 380، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 463، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 16.

(2) الإيجي، جامع البيان: 4/ 101، والعليمي، فتح الرحمن: 6/ 248، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 284.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 21.

(4) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 119، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 295.

توجيه نصب ﴿عِبَادَ﴾ وأثره في المعنى:

المؤتمنُ على الوحي والرسالة حريٌّ بالتفخيم والإعظام

قوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون مفعولًا به، وهم بنو إسرائيل، وأن يكون نداءً لهم، ومفعولُ ﴿أَدُّوٓاْ﴾ محذوف يدلُّ عليه المقام، أي: أدّوا إليَّ يا عباد الله ما هو واجب لله عليكم مِن الإيمان به، فحذف حرف النِّداء مع مفعول ﴿أَدُّوٓاْ﴾[1]، وعلَّل ذلك بأنَّه ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته[2]، والغرض من هذا الحذف التفخيم والإعظام.

والظّاهر مِن شرع موسى عليه السلام أنَّه بُعث إلى دعاء فرعون للإيمان، وأن يرسل بني إسرائيل، فلمّا أبى فرعون أن يؤمن ثبتت المكافحة في أن يرسل بني إسرائيل، ويدلُّ عليه قولُه بعدُ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾ [الدخان: 21] وهذا قريبٌ نصٌّ في أنَّه إنَّما يطلب بني إسرائيل فقط، ويؤيِّد ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [الدخان: 23] فيظهر أنَّه إيّاهم أراد موسى عليه السلام بقوله: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾[3].

علَّة فصل قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

المُرسلُ بالحقّ أحقُّ بالاتّباع

فصل قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه استئناف بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر[4]، فكأنَّه قيل: ولمَ نرسل معك بني إسرائيل؟ قيل: لأنِّي مرسل إليكم برسالة من الله تعالى، فقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليلٌ لقوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾؛ فالمعنى اتَّبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحقِّ لأنِّي مرسل إليكم بهذا[5].

دلالة توالي المؤكِّدات في فاصلة الآية:

تأكيد أنَّ الكليمَ مِن جملة المرسلين دفعٌ لإنكار المكذّبين

حُشد في هذه الجملة الكريمة عدد من المؤكِّدات، وهي: (إنَّ) التي تقوم مقام إعادة الجملة مرَّتين، وتقديم شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾

(1) الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 574، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 119، والزحيلي، التَّفسير المنير: 25/ 217.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 659، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 296.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 71، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 895.

(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 383، ومحمود صافي، الجدول: 13/ 124.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 895.

على الخبر ﴿رَسُولٌ﴾، ووصف الرَّسول بالأمانة مبالغة في الأداء، واسميَّة الجملة المفيدة للثُّبوت والدَّوام.

وقد توالت هذه المؤكِّدات؛ ليؤكِّد أنَّه ﷺ مِن جملة المرسَلين، وأنَّه محمَّل برسالة مِن الله سبحانه إليهم؛ فعليهم أن يتَّبعوا ما يأمرهم به، ويتجنَّبوا ما ينهاهم عنه، وإذا كانوا منكِرين فقد أكَّد لهم الكلام بأكثر مِن مؤكِّد لرفع هذا الإنكار.

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لَكُمْ﴾:

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[1]، وهو في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ بهذا المعنى[2]؛ أي أنَّ نبيَّ الله موسى ﷺ يقول لفرعون وقومه: إنَّه مرسَل مِن الله، وقد أرسله الله سبحانه خاصَّة لأجل ذلك[3].

تخصيص الأنام بالرّسل إثارة لمعاني الإيمان في نفوسهم

ولا يخفى ما في ذلك مِن إثارة معاني الإيمان في النُّفوس التي يُقال لها إنَّ الله في علبائه قد اختصَّهم ببعث رسول إليهم ليخرجهم مِن الظُّلمات إلى النّور.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾:

جاء تقديم شبه الجملة على المسند في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾؛ للاهتمام بتعلُّق الإرسال بأنَّه لهم ابتداء بأن يعطوه بني إسرائيل؛ لأنَّ ذلك وسيلة للمقصود مِن إرساله لتحرير أمَّة إسرائيل، والتَّشريع لها[4].

مقصود الإرسال تحرير أمَّة إسرائيل من الضلال

نكتة تنكير رَسولٌ ودلالة وصفه بـ﴿أَمِينٌ﴾:

جاء التَّنكير في قوله: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ للتَّعظيم، أي: رسول بالغٌ

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.
(2) الهلال، الثريّ الجامع: 25/ 168.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 21.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 896.

لا يرسل الملك الديّان الا من هو أهلٌ لحمل الأمانة

الأمانة؛ لأنَّ الملك الديّان لا يرسل إلّا مَن كان كذلك[1]، والمعنى: لقد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدَّقني بالآيات الباهرة، والمعجزاتِ القاهرةِ[2].

بلاغة المناسبة في تغيُّر أوصاف الرُّسول بين ﴿مُّبِينٌ﴾، و ﴿كَرِيمٌ﴾، و﴿أَمِينٌ﴾:

جاء النبيُّ الأمين بالكتاب المبين ومحذّرا من تأتي السَّماء بِدُخانٍ مُّبِينٍ

وُصف فيها الرَّسول في الآيات الثَّلاث [الدخان: 13، و17، و18] بأوصاف الإبانة ﴿مُّبِينٌ﴾، والكرم ﴿كَرِيمٌ﴾، والأمانة ﴿أَمِينٌ﴾، وقد جاء كلُّ وصف منها مناسبًا لسياقه تمام المناسَبَة، فإنَّ الرَّسول في الآية الأولى هو النَّبيُّ ﷺ، وقد وُصِف بالإبانة لمناسبة وصف الكتاب بالوصف نفسه في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، فالكتاب المبين جاء به الرَّسول المبين الذي يبيِّن لهم ما يتَّقون، فإنْ آمنوا فبها، وإن أصرّوا على كفرهم وعنادهم فإنَّهم مُنذَرون ومحذَّرون بيوم تأتي السَّماء فيه ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

وُصِف موسى بالكرم والأمانة؛ لأنّه كريم على الله تعالى؛ إذ صنعه على عينه، أمينٌ في تبليغ بني اسرائيل الرِّسالة

أمّا الآية الثّانية فالرَّسول فيها هو موسى عليه السلام، وقد وُصِف بالكرم لأنَّه كان مرسَلًا إلى فرعون وقومه، وقد كان فرعون يزدري بني إسرائيل ويمتهنهم، كما حكى القرآن عنهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: 4]، بل إنَّ فرعون وقومه قد استبعدوا أن يؤمنوا لموسى وأخيه هارون عليهما السلام، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: 46 - 47].

فلذلك وُصِف الرَّسول بالكرم؛ أي: كريم على الله، صنعه الله على عينه، فلا سبيل لأن ينازع فرعون في ذلك أو يقول: لماذا يختارك الله؟ وأيضًا ليكون ردًّا على المشركين مِن قريش الذين

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 21، والخطيب الشِّربيني، السراج المنير: 3/ 583.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 61.

استنكروا أن تنزل الرِّسالة على النَّبيِّ ﷺ، فحكى القرآن عنهم في السّورة السّابقة لسورة الدُّخان - والتي تعدُّ سورة الدُّخان امتدادًا لها - قيلهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31]، ومحصِّل الرَّدِّ أنَّ الله تعالى ﴿يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: 75] وهو سبحانه ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: 124]، و ﴿يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 179]، فكان الوصف بالكرم ردًّا على هؤلاء وأولئك.

أمّا في الآية الثّالثة فالرَّسول هو أيضًا موسى عليه السلام، ووصفه بالأمانة كان صادرًا مِن قِبَل نفسه، لا مِن وصف الله تعالى له، وقد ناسب هذا الوصف دعوته لقومه، حيث أكَّد لهم أمانته في تبليغ الرِّسالة إيّاهم، فيرتفع شكُّهم وإنكارهم، وكذا حال كلِّ رُسُل الله تعالى، يؤدّون رسالات ربِّهم، لا يبدِّلون ولا يغيِّرون.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الفتنة والاختبار والبلاء:

الفتنةُ أشدُّ الاختبارِ وأبلَغُه[1]، وأصلها: إدخال الذَّهب النّار ليتميَّزَ جيِّدُه مِن رديئه[2]؛ يقال: فتنت الذَّهبَ والفضَّة، إذا أذبتهما بالنّار لِتُميِّزَ الرَّديءَ من الجيِّد[3]، واستُعمِل ذلك في إدخال الإنسان النّار؛ قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: 13][4]، أمّا البلاءُ فهو مأخوذٌ مِن: بَلِيَ الثوبُ بِلًى وبَلاءً، أي: خلق[5]، وأبلَيتُ الثوبَ: أخلقتُه[6]؛ فيقال: بَلَوْتُه، أي: اختبرتُه كأنِّي أخلقته من كثرةِ اختباري له، وسُمِّي الغمُّ

الفتنةُ أشدُّ الاختبارِ وأبلَغُه، والبلاءُ يدلُّ على كثرةِ الاختبار

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 217.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 217، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فتن).
(3) ابن منظور، اللسان: (فتن).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 217، والراغب، المفردات: (فتن).
(5) الراغب، المفردات: (بلي).
(6) الجوهري، الصحاح: (بلي).

بَلاءً من حيث إنَّه يُبلي الجسمَ[1]، وأمّا الاختبار فهو وقوعُ الخبَر بحالةِ المختبَر فيه[2]، فيختبرُ الإنسانُ غيرَه ليعلمَ أحوالَ مَن يختبرهم[3]، ولكنَّ اللّهَ تعالى يختبرُ العبادَ حتّى يظهر في الوجود ما في علمه ﷻ، فهو تعالى عليمٌ بهم بدون اختبار[4]، وهو الخبير العليم بما كان وما يكون[5]، ولمّا كان امتحان قوم فرعون أشدُّ الاختبارِ وأبلُغه ناسب اختيار لفظ (الفتنة) في سياق الآية.

الأداء والدَّفع:

الأداءُ يكونُ عن طِيب نَفسٍ وشعورٍ بإيصال واجب، والدَّفع قد لا يكون عن ذلك

أصلُ الدّفع يدلُّ على تنحيةِ الشَّيء[6]، وإذا عُدِّي بـ (إلى) اقتضى معنى الإنالة[7]، وأصلُ الأداء إيصال الشيء إلى الشَّيء أو وصوله من تلقاء نفسِه[8]، والأداء: ما يجب دفعُه وإعطاؤه لمستحقِّه كأداء الأمانة[9]، ويقال: أدَّى فلانٌ ما عليه أداءً وتأديةً، وفلانٌ آدَى للأمانة من فلان[10]، وأوثِر لفظُ الأداء دون الدَّفع في ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾؛ لأنَّ بني إسرائيل جُعِلوا كالأمانةِ عند فرعون، ولأنَّ إعطاءَه نبيَّ اللّه موسى عليه السلام عبادَ اللّه وإرجاعَهم إليه واجبٌ على فِرعون[11]، والإيصال في الأداء يكون عن طِيبِ نَفْس[12].

(1) الراغب، المفردات: (بلي).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 216.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 65.
(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (بلو).
(5) ابن منظور، اللسان: (خبر).
(6) ابن فارس، المقاييس: (دفع).
(7) الراغب، المفردات: (دفع).
(8) ابن فارس، المقاييس: (أدي).
(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أدي).
(10) الخليل، العين، وابن فارس، المقاييس: (أدي).
(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 295.
(12) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 20.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"